

لم تكدر الحالة تهدأ في فلسطين في أعقاب انتفاضة العام ١٩٢٩ ، حتى كان العرب يجددون تحديد موقفهم — رغم كل الغبار المثار — تجاه « اليهود » بعيدا عن أي تعصب أو عنصرية . ففي أول تشرين الأول ( أكتوبر ) من العام ١٩٢٩ ، نشرت صحيفة « الماتان » (٢٥) الفرنسية مقالا لمدوبها الخاص في فلسطين ضمنه أحاديث مع بعض الزعماء الفلسطينيين ، منها حديث لموسى كاظم باشا ، قال فيه : ان المسلمين واليهود والمسيحيين كانوا في سلام ووثام عظيمين ، قبل تصريح بلفور . ونحن لا يمكننا ان نقبل بقدوم الصهيونيين الى بلادنا ليكونوا فيها أسيادنا ، وهي بلادنا منذ قرون عديدة . ومن الصعب ان نعيش مع اليهود الصهيونيين . ولما كنت في لندن قال لي المستر تشرشل بأنه يخشى في حالة ايجاد برلمان في فلسطين ان يحاول طرد اليهود منها ، لان الاكثوية فيه تكون من العرب ، فقلت له : اننا لا نفعل ذلك بتاتا . ولكن اليهود لا يريدون ان يوجد برلمان في فلسطين الا متى زاد عدد المهاجرين اليهود ، لكي تصبح الاكثوية في جانبهم ، وهذا ما نحتج عليه ، وتبلغ احتجاجنا جمعية الامم والعالم كله .

وأضاف موسى باشا : ان العرب لا يكرهون اليهود ، بل يريدون ان يعيشوا معهم في سلام ، كما كانوا قبل تصريح بلفور ولكن العرب سيواصلون النكاح ضد تصريح بلفور ، ولا يسوغ ان يلومنا أحد لأننا لا نقبل ان يتسلط علينا اناس يجيئون بلادنا من بلدان أخرى .

ولم يكن موقف موسى كاظم باشا فريدا في بابهِ ، كان ذلك موقف العرب الفلسطينيين عامة ، مهما كانت الخلافات الأخرى بينهم . فحسن صدقي الدجاني يلتزم الموقف نفسه ، وهو أحد زعماء « المعارضة » ضد المجلسيين في فترة لاحقة ، ويقول في حديث صحفي (٢٦) : « من الخيانة الكبرى أن يعتقد أي انسان أن العرب في فلسطين هم ضد اليهود ، أو أن هنالك نزاعا بين يهودي وعربي . بل الحقيقة بعكس ذلك . فنحن العرب كنا ولا نزال ولن نزال نجل اليهود ونحترمهم ونعطف عليهم . وقد كنا وياهم على أتم وفاق ووثام . لاننا نعتقد أن لهم ما لنا في البلاد وعليهم ما علينا . واما الخلاف والنزاع فهو قائم بين العرب والصهيونيين الذين جاءوا الى فلسطين بحجة انهم يريدون ان يعيشوا فيها بسلام . وما لبثوا ان بدأوا يطالبون فيها بملك صهيوني ، ويعاكسون مطالبنا الوطنية

ونخطو خطوة أخرى ، ونعبر سنتين لنصل الى العام ١٩٢٩ ، وهو تقريبا العام الذي علا فيه الشجب الصهيوني صارخا بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . لن نتطرق الى تفاصيل انتفاضة ١٩٢٩ ، فوثاقها مذكورة في أي مرجع يتناول تطور القضية الفلسطينية . ولكن هذه الانتفاضة رغم قوتها عن كل ما سبقها من تحركات عربية في مقاومة المخطط الصهيوني ، وذلك بسبب وضوح خطورة هذا المخطط ، تخللتها أعمال عديدة أكدت ان العرب لا يكونون عداء عنصريا او دينيا ضد « اليهود » . وبالرغم من ذلك فان الصهيونية أغرقت وقائع هذه الانتفاضة في بحر من التزييف والتزوير ، حتى ان الحاخام الأكبر في فلسطين بعث ببرقية الى باريس قال فيها : « اليهود في خطر ، أسرعوا بالاعانات » (٢٧) . وما له مغزى خاص هنا ان بعض « اليهود » من مواطني فلسطين أعربوا عن تعاطفهم مع العرب ، فشاركوا في مظاهرات الاحتجاج ضد الصهيونية ، ففي طبرية ، على سبيل المثال ، أعلنت جماعة منهم في بيان وجهته الى « المسلمين » انها تتقف ضد الصهيونية وتساند مطالب المسلمين في حائط الميكي (٢٨) . وكان ذلك في حقيقته نتيجة لموقف العرب ، الذين حمى فلاحهم وعمالهم في تلك الأيام ، وأحيانا تحت خطر الموت — كما يقول المؤرخ السوفييتي شليستر (٢٩) — الشغيلة اليهود في حالات عديدة . فمثلا ، حين وصل القرية العربية « ارتوف » رسل من القدس يعلنون : « هدم جامع عمر من قبل اليهود وقتل ٣٠٠ مسلم » ، ووصلت رسالة من ابن رئيس اللجنة التنفيذية العربية سامي كاظم بك (٣٠) يدعو فيها الى الهجوم على « اليهود » ، حينئذ حذر فلاحو « ارتوف » جيرانهم في مستعمرة العمل اليهودية ، ووعدهم بتقديم المساعدة لهم ، واقتروا عليهم الاختباء في قريتهم . وبالقرب من بيت لحم ، حيث يعمل في مقالع الحجارة بعض اليهود وعشرات من العرب سويا ، حمى « المسلمون » العمال « اليهود » ورفضوا حتى تسليمهم ، عندما طلب ذلك باسم الدين .

وما هذه الحالات وغيرها كثير الا صور رائعة لفقدان التعصب الديني لدى العرب ، لان جوهر المسألة الحقيقي ليس صراع أديان . لهذا كانت الحركة الوطنية الفلسطينية في عمومها ، خاصة في أوقات مدها ، تركز تيرانها ضد الاحتلال البريطاني ، وقد كانت ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ قمة ذلك (٣٤) .